الدولة الديموقراطية التقدمية في فلسطين

الدكتور صبري عبدالله حلاوة

الطبيعة الطبقية للحركة الصهيونية ولعملية استعمارها الاستيطاني في فلسطين

لكي يصبح بالامكان فهم المحتوى التقدمي لشعار الدولة الديمقراطية ينبغي أن نشير هنا الى بعض الحقائق الموضوعية المتعلقة بالطابع الاستعماري الاستيطاني للوجود الصهيوني في فلسطين ودوافعه ، والاسس العنصرية التي يرتكز عليها في ترسيخ دعائمه على حساب الحقوق الوطنية والقومية للشعب العربي الفلسطيني . كما ينبغي التنويه بالدور الذي يضطلع به هذا الوجود في الدفاع عن مجمل النظام الامبريالي العالمي واعاقة مسيرة حركة التحرر العربية .

ان توضيح واقع سياسي ما يعني اجراء تحليل علمي لاسباب نشوئه وحركة تطوره وشروط اضمحلاله ، واعطاء شكله الاجتماعي المعقد صورة واقعية مبسطة . أي نقله من حالة التعقيد الى حالة التبسيط دون تشويهه أو ابتذاله ، الامر الذي يخلق امكانية رؤيته موضوعيا ويساعد على تحديد ترابط مختلف اجزائه ضمن اطارها العام المتحرك كما ان تجريد هذا الواقع من خصائصه الذاتية وارجاعها الى أصولها الاجتماعية في حقبة تاريخية محددة ، يضمن الابتعاد عن الشكلية في التحليل ، ويجنب الوقوع في الاوهام الطوباوية حول هذا الواقع .

فالمعرفة العلمية لنشوء وتطور عملية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين لا يمكن تحصيلها دون الفهم الموضوعي للتغيرات النوعية العميقة والهائلة التي طرأت على البناءين التحتي والفوقي للمجتمعات الاوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، حيث تكونت الشروط لنمو جذور الحركة الصهيونية العالمية .

ان انتصار الرأسمالية على الاقطاع في أوروبا والتطور اللاحق السريع للصناعة والعلوم الطبيعية والاجتماعية ، ونشوء طبقة البروليتاريا وتصاعد كفاحها الاقتصادي والسياسي قد خلق ظروفا جديدة أدت الى نشوء ظواهر اجتماعية وسياسية متعددة من بينها اندثار حواجز الجيتو اليهودي في اوروبا الذي تناسب وجوده مع طبيعة تركيب المجتمع الاقطاعي القائم على الاقتصاد المبعثر . كما تسارعت عملية اندماج اليهود مع سكان البلدان التي يعيشون فيها ، حيث ترتب على عملية الاندماج هذه رفع وصاية الفئات المسيطرة من كهنة وتجار وأصحاب مصانع وبنوك يهود عن جماهير اليهود الكادحة التي اندمجت مع غيرها من السكان تحت تأثير أسلوب الانتاج الجديد . وقد كتب فلاديمير ايتش لينين عن هذه الظاهرة قائلا : « في اوروبا كلها كان سقوط القرون الوسطى وتطور الحرية السياسية يسيران جنبا الى جنب مع رفع الوصاية السياسية عن اليهود ومع انتقالهم من لغتهم الخاصة الى لغة الشعب الذي يعيشون بين ظهرانيه ومع التقدم الاكيد مع السكان المحيطين بهم »(١) .

ان التطور الاقتصادي اللاحق للرأسمالية في اتجاه تمركز الانتاج ورأس المال في أيدي الاحتكارات الضخمة قد أثر بشدة على السياستين الداخلية والخارجية للدول الرأسمالية